القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني
ويلهيني عن البكا واحسنه اي سقطته حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد
به مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن في المعجزات حسن
ولما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره ذكر حكم نشأته في حال
طفوليته وما بعدها مبينا ان الفه الان نتيجة ما اودعه في قلبه بعد شقه من الاسرار
والكمالات فقال الف النسك والعباده عطف تفسيري اي اعتادهما واستمر عليهما
والخلوة عن الناس في حال كونه طفلا فما بعده كما فهم بالاولى واختلفوا هل كان
يتعبد بشرع من قبله والجمهور انه لا نقل ولانه لو تعبد بشرع احد لظن
انه من اتباعه ولاحتج اهله به عليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل بشرع لم يعرف
وقيل بشرع نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى ومعنى ان اتبع ملة ابرهيم
اي في التوحيد وخص لانه الاب الاقرب المبشر به على ان المراد في تبعيه الدعوة
من الرفق والحلم الذي لم يوجد كماله الا لابرهيم وغايته الا لنبينا صلى الله
وسلم عليهما وعلى ساير الانبيا والمرسلين وسلم وقد امرنا باتباع الكل في فبهداهم
اقتده مع اختلاف شرايعهم ومع انه فيهم من ليس برسول كيوسف على قول فتعين
ان المراد اصول التوحيد والاخلاق فان قلت لا يحتاج للجواب عن ذلك لان
الكلام فيما قبل النبوه والذي في الايه بعدها قلت بل يحتاج اليه كما صنعوه
لان القايلين بانه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه
امر باتباعه فيما لم ينزل عليه شي فامره بذلك بعد النبوه فدل على انه كان
بالقوه ويعمل به قبلها والا فكيف يومر باتباع ما لم يعرفه قال السراج البلقيني
ولم يجي في الاحاديث التي وقفنا عليها كيف تعبده عليه الصلاة والسلام لكن
روى ابن اسحق وغيره انه كان يخرج الى حرا شهرا في كل عام من السنه يتنسك فيه
وكان من تنسك قريش في الجاهليه ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين
حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل في بيته حتى يطوف بالكعبه انتهى والظاهر

د الظاهر كما قاله غير واحد ان عبادته كانت الذكر والفكر مع اكثاره للخلوه
والانعزال عن الناس بحرا وغيره وهكذا النجباء اي ومثل هذا الشان الحلي
شان الكرام فما بالك بالحلم وسيدهم على الاطلاق ويليه في ذلك ابوه ابرهيم
صلى الله عليه وسلم فانه اعتزل قومه وانقطع الى الله تعالى ينتظر الفرج من مولاه
فان انتظاره عبادة كما في الحديث وفي البيت من انواع البديع ثاني اقسام
التناسب وهو تشابه الاطراف بان تناسب معانيهما اذ النجابة اخره
يناسبها الف ما ذكر لانها السبب في ذلك وثالث اقسامه ايضا وهو مناسبة
اللفظ للمعنى في الرقه والسهوله او الشده والصعوبه ومنه حديث الا اخبركم
باهل الجنه كل ضعيف متضعف اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره الا اخبركم
باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر اتى من اوصاف اهل الجنه بما يناسب حالهم
في الرقه والانكسار ومن اوصاف اهل النار بما يناسب حالهم من الشده والعتو
والغلظ والابا والنزاع عن قول الحق والفاظ البيت تناسب معناه في
السهوله وحسن السبك والانقطاع عن النظير وقوله وهكذا النجباء تذييل
وهو تعقيب الجمله باخرى تشتمل على معناها للتاكيد وهو ضربان احدهما
وهو ما هنا ما اخرج مخرج المثل نحو وهل يجازى الا الكفور كما مر واذا
كان هذا شان النجباء من الانبياء ثم صالحي اممهم لما هو المستقر المعلوم
انه اذا حلت الهدايه وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا الدلاله عليه فقط
ومن الاول انك لا تهدي من احببت اي لا توصله ومن الثاني واما ثمود
فهديناهم اي دللناهم ولم نوصلهم فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا
لم يستحبوا ذلك قلبا نشطت للعبادة الاعضاء لان القلب هو
رييس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ومن ثم صح عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ان في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع الذي مرت نظايره واعلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)